إضاءة

على عكس السيَر الذاتية، فإن السيرة الفكرية توكّد على الأفكار والنظريات والمبادئ التي قادت صاحبها خلال تنقّله في ميادين المعرفة، كما تسلّط الضوء على المراحل المعرفية التي عرفها أثناء وقوفه على رَيف نظريّة او تقادم نموذج معرفي

نجم الدين خلف الله

## حقلٌ خصب قلّما نجني ثماره

# الحقّ بالسيرة الفكريّة

السيرة الفكريّة تمرينٌ أسلوبي مُزدهر في الثقافة الفرنسيّة وفي الفضاء الأكاديمي بشكل خاص، حيث يُعدّ بمثابة الشرط للحصول على درجة جامعيّة عُليا، وهي التأهل للإشراف على أطروحات الدكتوراه. يقتضي هذا التمرين كتابة سيرة ذاتيّة يتتبّع خلالها المترشّحون تطوّرهم الذهني. وثمّة من المفكّرين مَن يتجاوزُ النطاق الضيّق للانتقال من درجة مهنيّة لأخرى ويحوّل ذلك إلى هاجس تفكير. النتيجة مُؤلفات يُقبل عليها الباحثون والقرّاء العاديّون لما فيها من جَمع بين المعرفة المعمّقة والذاتيّة الحيّة.

فقد اقبلت أسماء ثقافيّة شهيرة على تجاوز السيرة العقليّة ضمن الإطار الجامعي، ومن أبرزهم بول ريكور (1913 ـ 2005)، الذي اشتغل على الذاكرة كمهمّ فلسفي، فوضع كتاب «وقد أنجزَ التفكير» (1995)، ونصّ العنوان الفرعي للكتاب، بشكل صريح، على أنه «سيرة عقليّة». وكذلك نجد أثر هذا التقليد في كتابات المفكر إدغار موران الذي بلغ مؤخّرًا قرنًا من العمر. بدأ انشغاله بالكتابة الفكرية - الذاتية، منذ بداية السبعينيات حين خصّص كتاب «يوميات كاليفورنيا» ليكشف التحوّلات المعرفيّة التي عاشها بانتقاله من جامعات أوروبا إلى المؤسّسات البحثيّة الأميركية. واستمرّ لديه هاجس كتابة السيرة العقلية إلى آخر أعماله، «دروس حياة»، الصادر منذ شهرَيْن.

وللسيرة الفكرية جذورٌ بعيدة في الثقافة الفرنسية، حتى إن لم تكن هذه التسمية دارجة، ففكّرو القرن العشرين والقرن الحالي قد استانسوا لكتابة سيرهم بنماذج سابقة وضمنها تُصنّف «خواطر» (1669) بليز باسكال، و«تأمّلات» رُنيه ديكارت (1641)، و«اعترافات» (1770) جان جاك روسّو. وكذلك كتاب «هذا هو الإنسان» (كُتب عام 1888 ونُشر عام 1908) الذي جعله الفيلسوف الألماني نيتشه كملخّص لمجمل أفكاره. ومن المعلوم تأثير نيتشه في مفكّري فرنسا في القرن العشرين وما بعده.

وأمّا في الثقافة العربية، فَيَظلّ هذا التمرين عصيًا على الإمساك النظريّ، فلا هو حاضرٌ كتقليد كما هو الحال في فرنسا، ولا هو غائب تمامًا. ومثال ذلك كتاب زكي نجيب محمود «قصة عقل» (1983)، وعبد الوهاب المسيري في كتابه «رحلتي الفكرية: في البذور والجذور والثمار» (2001)، كما يمكن أن نجد أثر النزعة لكتابة السيرة الفكرية في نصوص كثيرة لعبد الله العروي، من «خواطر الصباح» (عدّة أجزاء، صدر أوّلها عام 2001) إلى «نقد المفاهيم» (2018). وبعدّ الكثيرون كتاب «الأيّام» (صدرت أجزاؤه بين 1926 و1967) لطه حسين أقرب إلى السيرة الفكريّة منه إلى السيرة الذاتيّة، لأنّ الكاتب المصري لم يقتصر منطقة الحميمي إلّا نادرًا. وكان محور كتابه إظهار قدرة الفرد على تجاوز الصعوبات ضمن نموذج التنوير، أيْ: الخروج في كلّ مرة من ظلمة الجهل إلى نور المعرفة.

ولعلّ من أسباب عدم الحسم في تصنيف

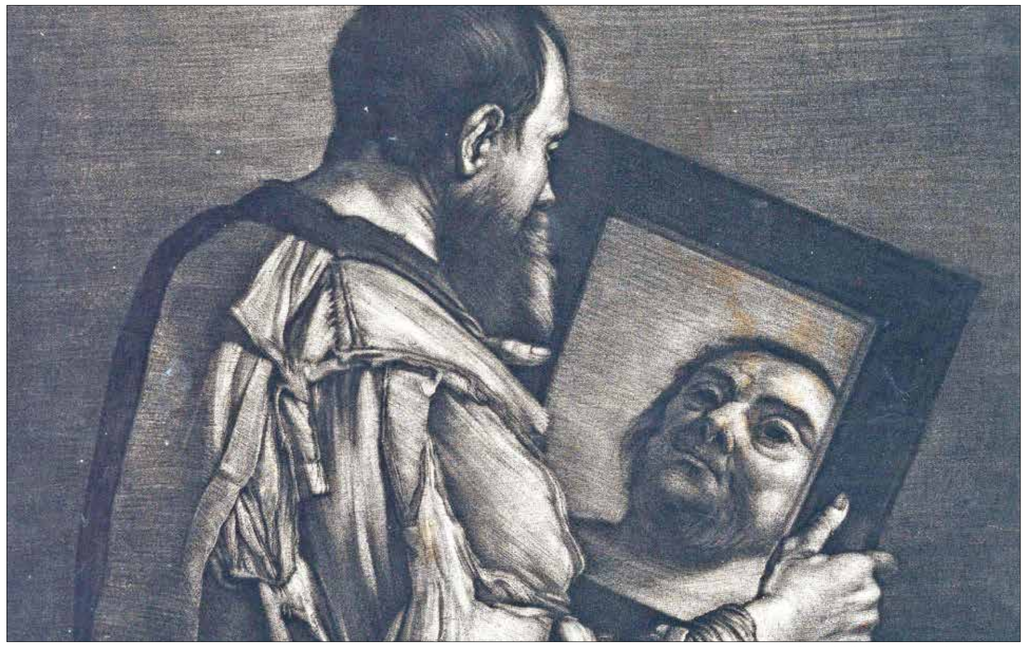

جزء من «فيلسوف ينظر الى مرآة» لـ برنارد فايان، القرن السابع عشر

أعمال كثيرة ضمن إطار «السيرة العقلية» أو «الفكرية»، هذا التذبذب في التسميات، فلا يوجد في ثقافتنا جهاز نقدي مضبوط للمصطلحات يتيح دراسة هذا الجنس من الكتابة، مع تسجيل استثناءات مثل كتاب الباحث التونسي شكري المبخوت «أحفاد سارق النار: في السيرة الذاتيّة الفكريّة»، وكتاب الباحث المغربي محمد الداهي «شعرية السيرة الذهنية». ومنذ عتبة العنوانَيْن، نقف على التذبذب الاصطلاحي الذي ذكرناه. ولا نُغفل ما هو أكثر خطورة: عُزوف الجزء الأكبر من الباحثين عن المواضيع غير المطروقة؛ فإذا لم نجدوا إطارًا منهجيًا واضحًا لدراسة هذه القضية أو تلك، قلّما يغامرون بابتكار مناهج لها ومُقاربات.

وقبل هذا، نجد أثرًا بعيدًا للسيرة الفكريّة في التراث العربيّ، فابن خلدون قد انبرى لكتابه سيرته (وأعتبرها «رحلة» لكثرة تنقّله المكانيّ) منذ أن فرغ من تاريخه: «كتاب العبر». لكنّ أبرز الأمثلة التي تحضر إلى الذهن كتابات أبي حامد الغزالي الذي كان من قلّة العلماء الذين رسموا مسارهم الروحي وتحوّلهم من علم الكلام والفقه والمنطق والفلسفة، ومنها إلى التصوّف النظريّ ثم التنسّك العمليّ خلال ثلاثة عشر عامًا. وثمّة مقاطعُ كثيرة من نصوصه لا يتردّد الباحث الحديث في تصنيفها ضمن السيرة العقلية، كأن نقرأ تأمّلاته في صومعة بالقدس، ومن ثمّ نتبع ما اعتراه من الأزمات الفكرية بسبب شكّه في المحسوسات والمعقولات والعلوم النظرية، ثم إعادة اليقين إليها عبر البناء الفلسفي لها. وقلّما ننظر إلى كتابه الشهير، «المنقذ من الضلال» (1107 تقريبًا)، باعتباره سيرة، وهو كذلك، فقد جرى تصنيفه ضمن أعمال الهداية الدينيّة وبتنا ننظر إليه كذلك. وهكذا، فالسيرة العقليّة للأدباء والكتّاب والفلاسفة ليست بدعًا في تاريخ الفكر العربي، وإنما جنس من أجناس القول، تمرّس به أصحابه وأظهروا براعة في التصرف بآلياته التي تتمثّل أوّلًا في وضع الذات محلّ الموضوع والدأب على تتبّع الأطوار التي مرّت بها، والأشواط التي قطعتها ضمن بحثها عن الحقيقة وعن النمط التعبيري الملائم، من أجل الوقوف على الخيط الناظم لها. وقد تتعقّد هذه السيرة إذا كان صاحبها غير نمطيّ لا يتبع في حياته الفكرية خطًا واضحًا، ممّا يجعل البحث في المنعطفات والقطائع أمرًا شائكًا، ولكنّه ممتع بما فيها من خرق للمنتظر وتكسير للانتظار.

وعلى عكس السّير الذاتيّة، أكانت تاريخيّة أم متخيّلة، فإنّ السيرة الفكريّة تؤكد على الأفكار والنظريات والمبادئ التي قادت صاحبها خلال تنقّله في ميادين المعرفة، كما تسلّط الضوء على المراحل المعرفيّة التي عرفها صاحب السيرة أثناء وقوفه على رَيف نظريّة أو تقادم نموذج معرفي، هذا فضلًا عن أهمّ الأفكار التي صاغها وأنتجها، إمّا بالاعتماد على موارده الخاصّة أو بتبنّي طروحات مُستخدمة.

كما يتميّز هذا الجنس بالعودة النقديّة إلى مسارات الاشتباك بالمعرفة وبالعالم للوقوف على مكامن الضعف والتهافت وإظهار ما ينتاب الذات من الخيبة والقصور، فالهدف منها كما قال تودوروف في «رواية تعلّم» (1986) هو «نقد النقد» والاضطلاع بمُراقبة ما حصل أثناء مسار التطوّر الفكري من قطائع، تأكيدًا أنّ بالإمكان أبدعَ ممّا كان، كما أنّ للفكر سقطاتُه وزلّاته.

(كاتب وأكاديمي تونسي مقيم في باريس)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

### التذبذب الاصطلاحي سببٌ لقلة تصنيف أعمال عربية سيراً فكرية

### يمكن العثور على بدايات للسيرة الفكرية عربياً عند الغزالي

## ولو مرّة في العمر

تظلّ السيرة العقلية تمرينا صعبا يقتضي مسافة نقدية من الذات التي تصبح هي الموضوع. ويحقّ لكلّ باحث ان يُنجز هذا التمرين مرّة في حياته حتى يراجع مساره وما خبره خلاله من قطائع وتراكمات. وتكمن الصعوبة في الامساك بالخيط الناظم بين المراحل والاطوار التي يمرّ بها. وربما كان مجموع السّير التي يصوغها المُفكّرون زبدة العقل الانساني؛ ينظر إليها الاحاد من المفكّرين فيقفون منها موقف السؤال والمُراجعة.

إطلالة

## حتى لا يكونوا مجرّد زجّالي طوائف

# لبنان... السلطة والمثقفون

مع الأزمة، تنفصل السلطة عن الجسم المثقف، ولا تعود المحاصصة الطائفية قادرة على استيعاب الحراك الاجتماعي داخل الطوائف نفسها

عبّاس بيضون

في لبنان الذي يعاني من التدهور المالي، والنقص في الكهرباء والأدوية والوقود، ويواصل الانهيار المتفاقم على شتى الصعد، والذي يتضاءل حراكه الشعبي، ويكاد ينقلب إلى هبّات سريعة، بينما يعود أركان السلطة إلى إذكاء الصراع الطائفي واللعب عليه، في المقابل، تتوارى أحزاب السلطة ذات القواعد الطائفية، عن انتخابات الجامعات أو تخسرها، فيما يصعد شتات من الضالعين في الانتفاضة التي كادت تنحسر منذ عام، على الأقل، لعلّ انتخابات المهندسين التي فاز فيها ممثلو الانتفاضة بأكثرية ساحقة مثال آخر على هذا التغيير.

ماذا يحدث في لبنان الآن، وهل هو لبناني بحت، أم أنّه صدى أخير لـ«الربيع العربي» الذي انطفأ أو يكاد؟ ما يجري في لبنان يطرح ما كان في أساس الحراك الذي شمل «الربيع العربي» وهو بالدرجة الأولى علاقة المثقفين أو الجسم الثقافي بالسلطة. كانت السلطات العربية القائمة بعد سقوط فلسطين عبارة عن طُعْم عسكرية أو قبلية أو عائلية. إن هي تميّزت بشيء، فهو أنها تكاد تكون منفصلة عن القواعد الشعبية، التي تستمر في مبانيها القَبَلية والطائفية، فيما السلطات الجديدة تبني على القوى الأمنية والاستخباراتية، وتتحوّل إلى طبقات قائمة بذاتها. لم يكن «الربيع العربي» في واحد من مقوماته سوى ذلك النهوض لطبقة آخذة في التزايد، وبناء قوتها الخاصة، وتأثيرها المتنابع، هي طبقة المثقفين التي خرجت إلى الشارع لتواجه طغماً استولت على السلطة، بما يشبه الاغتصاب، ولا تزال تحكم، من فوق، مستتبعة لها أبنية اقتصادية وسياسية وبوليسية.

لبنان، بتعدده الطائفي، لم يكن تماماً على هذه الشاكلة، إذ تنتج كلّ طائفة، من داخلها، إطاراتها شبه العائلية، والتي ترفع، في تنافسها، إلى السدّة مثقفين شبه عائليين، بينما يكفل النظام الطائفي لمثقفي الطائفة حصصاً في السلطة وفي الإدارة. هكذا، كان اندماج المثقفين في الطائفة وجهاً من وجوه توزّع المثقفين على السلطة والمعارضة في آن معاً. هكذا، نجد أنفسنا إزاء طبقات عليا من المثقفين، هي تقريباً زعامات الطوائف، بينما نجد في المقلب الآخر طبقات دنيا تتجمع في معارضة طائفية أحياناً، بينما هي، في أحيان أخرى، معارضة للنظام، وإن يكن، غالباً، من داخله.

لعلّ ما يدلّ على أنّ أزمة لبنان الحالية، ذات الوجه الاقتصادي إجمالاً، تتحوّل، أكثر فأكثر، إلى أزمة نظام، هو في هذا التراجع المتصل للأحزاب الطائفية وسط المثقفين. يمكننا القول إنّ النظام الطائفي لم يعد يرضي الجسم المثقف الذي كان يجد فيه سبيلاً الى السلطة، عن طريق الأحزاب الطائفية، التي كان منطوقها الأيديولوجي في الغالب، يتجنب التصريح الطائفي، متخذاً من الوطن أو الأمة آفاقاً له، في حين تبقى الطائفة بالنسبة لهذه الأحزاب هي حشدها الفعلي وآفاقها.

اليوم، مع الأزمة، تنفصل السلطة عن الجسم المثقف، بمقدار ما لا تعود المحاصصة الطائفية قادرة على استيعاب الحراك الاجتماعي داخل الطوائف نفسها. لم تعد السلطة في هذا الحال، ولم تعد محاصصاتها ومنافعها السرية والظاهرة، قادرة على امتصاص حاجات المثقفين المتفاقمة أو الجواب عليها. لم تعد السلطة، خصوصاً في وضعها الحالي، هي المنتهى والأمل والغاية. إنّها في وضعها الحالي مفضوحة تماماً. ليس عجزها وحده هو المفضوح، لكن أيضاً، وبالدرجة نفسها تواطؤها واستتباعها المذل والمهين للقوى الطبقية والاقتصادية النافذة، التي صار احتكارها للسلطة، ما يشبه الاغتصاب والاعتداء والخطف، أي أنّها اليوم العائلات التي تتناهبها وتتقاسمها وتستولي عليها.

لقد غدت ملفات هذه السلطة ورشاويها واستتباعاتها مفضوحة مكشوفة، لدرجة غصت بالفضائح، في حين تنشأ في مواجهتها، وفي موازاتها، سلطات أخرى، تملك كلّ ما تملكه من سيادة واستيلاء، بل تسبقها في ذلك وتزايد عليها. المثقفون اليوم ليسوا تماماً في وارد الانتقال إلى سيد جديد، وإلى سلطات أخرى. ليسوا، إلا في شرائح محسوبة، في وارد الاقتصار على لعب أدوات تعبوية لسلطات لا يملكونها، ولا تملكها عائلاتهم، ولا مكان لهم فيها، إلّا في إطارها الدعوي، أي أن يكونوا فقط زجّالي الطوائف. إذا علمنا أن ليس أمام هذه الطبقة المثقفة إلّا السفر إلى بلاد أخرى، فإنّنا نفهم أنّ الوضع الحالي لم يعد فيه ما يغريها، وأنّه ليس صالحاً لإشباعها، وأنّ الأزمة تطاولها هي بالدرجة الأولى. إنّها أزمتها وهي وحدها القمينة بمواجهتها والرد عليها، وحدها القادرة على أن تطرح مشاريع مستقبلية، وأن تضع على المحك، هذه المرة، كلّ الدعوى الاستراتيجية والأيديولوجية للنظام اللبناني.

(شاعر وروائي من لبنان)

### ليس المثقفون اليوم في وارد الانتقال إلى سيّد جديد

شوقي شمعون، اكريليك على قماش

معرض

## الجنة كما تخيّلها الفنانون المسلمون الأوائل

# جماليات الفردوس

يضمّ المعرض الذي يتواصل في «مركز آغا خان» حتى نهاية أيلول/ سبتمبر المقبل، مقاربات لتسعة عشر فناناً حول صورة الجنّة ومفهومها في الإسلام

لندن ـ ساندرا كرم

سعى المسلمون منذ القرن الحادي عشر، خاصة خلال الحكم المغولي في الشرق والدولة العامرية في الأندلس، إلى إدراج نظرتهم الفلسفية ومخيلتهم الجمالية لمفهوم الفردوس على الإبداعات البصرية، وانعكس لديهم ذلك في هندسة الحدائق والمنمنمات والنقوش والعديد من الرسوم داخل القصور والمباني الرسمية.

«صُنع الجنّة» عنوانُ المعرض الذي افتُتح في «مركز آغا خان» في لندن منتصف أيار/ مايو الماضي، ويتواصل حتى الثالثين من أيلول/ سبتمبر المقبل، ويضمّ مقاربات لتسعة عشر فناناً من مختلف أنحاء العالم حول صورة الجنّة ومفهومها في الإسلام، بالاعتماد على مئة وثلاثين آية قرآنية.

تقع عين الزائر حين دخوله على نافورة في قلب الحديقة الرباعية التي تم إنشاؤها في المكان، لكنّها لا تخرج المياه، إنما تنبعث منها شرائط مجدولة من الورق على شكل أزهار من تصميم الفنانة الأميركية، المقيمة في برلين، كلير سيليست بورش، حيث تتمركز النافورة في وسط المعرض كمحاكاة لتصميم الجنان في الحضارة الإسلامية، وتحيط بها أربعةُ جدران تمثل التصميم الفارسي الكلاسيكي للحديقة المعروف بـ«شار باغ» والذي ينتشر في عدد من المدن الإيرانية والهندية.

تقدّم بورش رؤية معاصرة ضمن أعمالها التركيبية التي تركّز على التهديدات التي يتعرّض إليها التنوع البيولوجي في العالم من خلال عملها على الآف الصور للنباتات والحيوانات بهدف إنشاء فضاء متخيّل للجنة التي يتصوّرها الإنسان على الأرض. يستند المعرض إلى تصميم متكامل من خلال تسجيلات لصوت المياه وغناء العصافير، ورشّ عطر مخصّص لاستحضار رائحة الحديقة، كما تُظهر الأعمال المعروضة تفسيرات مختلفة للجنة من خلال وسائط الهندسة الإسلامية، والمنسوجات المحاكة يدوياً، والأعمال الخزفية، والألواح المطرزة باستخدام الزهور المجففة والخط العربي، والرسوم المصغرة.

تعرض أيضاً حروفيات للفنانة البريطانية الباكستانية ثريا سيد التي درست على يد خطّاطين عرب وأتراك، وقدّمت العديد من العروض الكاليغرافية الحيّة التي تعتمد تركيبات رقمية ثلاثي الإبعاد، التي تسعى من خلالها إلى إنشاء أرشيف رقمي للخط العربي يرتبط بسياقاته الاجتماعية والثقافية والدينية، كما تصمم نماذج ترتبط بشعائر الحج إلى مكة.

وتقدّم الفنانة البريطانية جين لي مكراكن باعمال تصوّر الهدهد مستوحاة من كتاب «منطق الطير» للشاعر المتصوف فريد الدين العطار، حيث يتحدّث الهدهد إلى ثلاثة عشر طيراً بوصفه حكيمهم عن أفعالهم وسلوكياتهم في الحياة، لكنها تبدو وكأنها تشابه تصرّفات البشر، بينما تبرز الفنانة الباكستانية زارة حسين في منحوتتها نمطاً هندسياً من المثلثات الفيروزية والأزرق الداكن والأبيض على شكل زهرة ضمن حركات متكرّرة لا متناهية مصمّمة من التطبيقات التفاعلية والرسم والنحت.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

### اعتمد الفنانون على مئة وثلاثين آية قرآنية تصوّر جنّات عدن

من المعرض (موقع مركز آغا خان)

## فعاليات

**من تراث الكاريكاتير**، عنوان المعرض الذي افتتح مساء الثلاثاء الماضي في «بيت السحيمي» بالقاهرة، ويتواصل حتى الاثنين المقبل، بالتعاون مع «الجمعية المصرية للكاريكاتير» و«متحف الكاريكاتير» في الفيّوم، ويضمّ حوالي اربعين رسماً للشاعر والفنان المصري الراحل **صلاح جاهين** لم تُعرض من قبل.

تقام في «مركز محمد شيخو للثقافة والفن» بمدينة القامشلي بمحافظة الحسكة، اقصى شمال سورية، فعاليات الدورة الخامسة من **معرض هركول للكتاب**، بمشاركة قرابة اربعين دار نشر تحضر بنحو 130 الف عنوان. تتواصل الدورة الجديدة من المعرض، الذي تُنظّمه «هيئة الثقافة» في الإدارة الذاتية لشمال وشرق سورية حتى الخامس من الشهر المقبل، تحت شعار «الكتاب نبض الحياة».

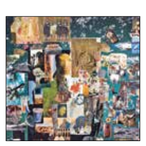

**انا العارف بالليل** عنوان معرض تشكيلي يقام حتى الخامس والعشرين من ايلول/ سبتمبر المقبل، في «غاليري لا تشيتا» بمدينة فيرونا الإيطالية بمشاركة خمسة عشر فناناً، من بينهم: **عادل عابدين**، و**شيرين ابو شقرا**، و**صادق كويش الفراجي**، و**عبد القادري**، و**جان بوغوسيان**، و**سيمون فتّال** (اللوحة).

حتى الخامس من آب/اغسطس الجاري، تتواصل فعاليات الدورة السادسة عشرة من **مهرجان ليالي المسرح الحرّ الشبابي** على خشبة المسرح الرئيسي في «المركز الثقافي الملكي» في عمّان. من الاعمال المشاركة: «تراتيل: ثورة النساء» لـ **ميس الزعبي**، «العقاب» لـ **عمر سلام**، و«اديري» لـ **هاني الخالدي**.